



معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2025/08/25

تاريخ القبول: 2025/11/30

Printed ISSN: 2352-989X

Online ISSN: 2602-6856

الخيل في المخيال المسرحي

(من خلال نماذج مختارة)

*Horses in theatrical fiction
(through selected models)*

لطيفة خمان

جامعة محمد الشريف مساعدي سوق أهراس

l.khemane@univ-soukahras.dz

مخبر الدراسات اللغوية والأدبية

الملخص: لطالما تناول المسرح موضوعات متنوعة.. بناء على ذلك ومن طرق غير مألوف أردنا البحث فيما ديج وعرض فيه عن تعالق خاص يصله بالخيل واستحضاراتها ومطاراتها .. الأمر الذي أبحر بنا إلى عوالم مختلفة، أين راودنا الرموز والدلالات والمعاني فتوصلنا إلى ما يكشف عن الأفكار والرؤى المتباينة تلك التي عكست أبعادا وسياقات جمّة كما هو الحال في النماذج المسرحية المنتقاة.

الكلمات المفتاحية: الخيل، المخيال المسرحي، الحضور والتعلق، نماذج مختارة.

ABSTRACT

The theater has always dealt with diverse topics.. Based on this, and from unfamiliar ways, we wanted to research in what was written and presented about a special relationship related to horses, their conjurations and pursuits .. Which sailed us to different worlds, where we had symbols, connotations and meanings, and we came up with what reveals the different ideas and visions that reflected many dimensions and contexts, as is the case in the selected theatrical models..

Keywords: Horses, theatrical imagination, presence and rapport, selected models..

1. المقدمة:

من الموضوعات الهامة التي تجاذبتها التخصصات المعرفية المختلفة .. موضوع الخيل وحيثياته، إذ لا يخفى علينا هنا حجم ما دبح عنها من إبداعات وطروحات.. تلك التي اختلفت طبعاً باختلاف التوجه والتناول، والرغبة والميول ودرجة مراودة الفكر وانجذابه نحوها، على هدي ذلك ومن خيطها الناظم وإذا ما أردنا الإشارة إلى ما يثمن ويزكي صدق ما أدلينا به، فتكفينا الإحالة هنا إلى المنظور الديني الذي تعالق معها، فبين وأثبت مقامها المحمود ومكانتها السامقة.

تماماً وهذا المقتضى ورغبة في التأكيد أكثر نلفت النظر إلى أن مقام التشريف لم يجافىها إذا ما أبحرنا في سياقاتها المتنوعة وإن كنا نبتغي من حديثنا هذا مخيال الدراسات والأبحاث المتباينة، إذا نالت حظوة والتفافاً مائزاً.. وسلطة تبجيلية من قبلهم صيرتها لتكون أيقونة معادلات فكرية وشعورية جمّة.. ، تساوقاً وهذه الأفكار وبالارتكاز على تخصص المسرح.. أردنا الخوض أيضاً في قضية حضورها في الإبداع المسرحي الذي اعترى بها فائت خطاباته بمحمولاتها، من هنا كيف تبدت صورة الخيل في المخيال المسرحي من خلال النماذج المنتقاة؟

ولأجل الوصول إلى المرامي المنشودة استندنا إلى مجموعة من الأدوات الإجرائية كالتأريخ والوصف والتحليل وقد راودنا النقد والمحاورة والتفسير والتأويل في كذا موضع، الأمر الذي قادنا إلى مجموعة من النتائج تلك التي أكدت على أهمية البحث في هذا الموضوع الذي تقاسمته ثنائيتين مائزتين لامستا الأبعاد الجمالية والفكرية .

2. الخيل وعوالمها.. وعلاقتها بالوجدان

إذا ما قلنا الخيل .. فالمؤكد أن الاستحضارات تتساق وتتنوع وتتراكم في سياقها، بتعبير آخر .. يتراءى لنا جمالها ودلالاتها ومعانيها وصفاتها وتأويلاتها.. ومسمياتها ومسارها الطويل العريق.. لأجل ذلك واعتبارات أخرى يستوقفنا المقام للحديث عنها قليلاً.

هذا الحديث الذي نرتضي الانطلاقة فيه مما قيل عنها، وبتنوع الدلالات والمقاصد، وهنا حسب ما ورد في صوبها ونطاقها «الخيل: الفرسان، وفي المحكم: جماعة الأفراس لا واحدة له من لفظه، قال أبو عبيدة: واحدها خائل لأنه يختال في مشيته، قال ابن سيده: وليس هذا بمعروف، وفي التنزيل العزيز: "وأجلب عليهم بخيلك ورجلك"، أي بفرسانك ورجالتك، و"الخيل والبغال والحمير لتركبوها"، وفي الحديث: يا خيل الله اركبي، قال ابن الأثير: هذا على حذف المضاف، أراد يا فرسان خيل الله اركبي، وهذا من أحسن المجازات وألطفها (...) وقالوا: الخيل أعلم من فرسانها (...) والخيالة أصحاب الخيول» (منظور، (د، ت)، صفحة 1307)، وبالاسترسال مع المبتغى نلني توضيحات أخرى ننتقي منها أن «الخيل Horses (الاسم العلمي: Equus caballus) هي جماعة الأفراس، ولا مفرد لها من لفظها، والفرس هي أنثى الخيل، (ويقال لها حجر وجمعها أحجار وحجور)، ويقع على الذكر أيضاً، ويقال له حصان وجمعه حصن، والمهر هو ولد الفرس، وأنثاه ماهرة، أما الفلو فهو المهر إذا فطم (...) والخيول ثدييات آكلة للعشب من

الحفريات تنتمي إلى الفصيلة الخيلية Family Equidae من جنس الخيل Equus وتحت رتبة اللامجترات Aruminatia ورتبة وحيدات الحافر (مفردات الأصابع Perssodactyla) « (عبد الرحمان، (د، ت)).

فلعالم الخيول صفات ومميزات خاصة وإذا ما أبحر المرء في تفاصيلها، يلقي لها تمثيلا فقط أنواعا وألوانا كثيرة، ثم إن لها مسميات متعددة، ولا يخفى علينا أن هذا الاختلاف والتنوع راجع إلى أمور عديدة تداخلت في تركيبها، لنا أن نشير إلى بعض ما أطلق عليها حسب ألوانها (الكميت: الكمة: حمرة يخالطها سواد، والأدهم: الدهمة: السواد، شديده وهينه، والأشهب: الشهب والشهبة: لون بياض يتخلله سواد، والأصفر: حين يصفر ذنبه وعرفه، والأبرش: البرش: من لمع بياضا في لون الفرس من أي لون كان إلا الشهبة، والمصمت: الذي لا يخالط لونه لون، والشية: وهي كل لون يخالف لون جميع الجسد...، هذا وله مسميات حسب توزيع البياض في الجسم فإذا ما كان في الوجه سمي غزة، وإذا كان في القوائم سمي تحجيلا...)، من نعوثا نذكر: المعرب وهو الذي ليس فيه عرق آخر، والأنثى معربة والجمع عراب، وأعرب الفرس إي خلصت عربيته، والعتيق من الخيل الكريم وكذلك الصريح والشرجب والسرحوب، والمطهمة وهي الحسنة التامة في كل شيء، والصلدنة الشديدة، والفرس النهذ الجسيم والسلجم الطويل، والقيدود الطوال من الإناث، والصمصام والعنندي والمسومة والدهلول، والجشرع والبحر والمطهم والجموح... (عبد الرحمان، (د، ت)).

ثراء كبير وحديث مستفيض في هذا الصوب، وعن الاحتفاء بها فالأمة العربية كان لها وافر النصيب في ذلك، وإن كنا سنترافق مع ذلك.. نبتغي في إشارات مقتضبة الماضي على ارتباطاتها وثقافات أخرى، فقد ارتبط الخيل والحصان عند الغرب بأمور كثيرة كالغزو والحروب، وقد تراءى ذلك في عديد الرسومات التي وجدت، وقد ذكر أن الحصان يلعب دور حلقة الوصل بين الحياة والموت، وعلى وقع ذلك كان في ثقافات آسيا الوسطى وخاصة العقيدة الشامانية، إذ كان له دور مرشد الأرواح وقائدها في الآخرة، وذات الشيء لوح في الأساطير الإسكندنافية، حين كان يفوض الإله أودين الفالكيري العذارى بحمل أبطال المعارك المقتولين على الخيول إلى العالم الآخر، ورد أيضا في الميثولوجيا اليونانية أن الملك يوروستيوس أمر هيراكليس بترويض خيول ديوميديس، وقد حضر الحصان ومس الديانة المسيحية بالتساوق مع سبق، فقد كان العديد من القديسين ينتقلون على متن الخيول مثل القديس هوبرت ويوستاس ومارتن وجرجس، هذا التواجد الذي يستحضر يوحنا.. (والفرسان الأربعة المرسلين من السماء)، وعودة المسيح إلى الأرض والتي قيل بأنها ستكون على حصان أبيض.. وقد تباينت النظرة إلى الحصان من منطق الرموز.. فكان الخيل رمز للفحولة والذكورة والقوة والسرعة، وللعلاقة الأخلاقية الجديدة مع الحياة ومع الطبيعة، والنفوذ والمكانة الاجتماعية المرموقة، والغزو والحروب، ولنشدان الكمال وترويض الجسد وأهوائه لاسيما في النهايات التي تعكس فكرة الحصان الأبيض (الحصان في الثقافات والأديان.. ما سر إعجاب الإنسان بالخيول منذ القدم؟ ، 2020)... إلى غير ذلك.

وإذا ما عدنا إلى التعالق العربي والخيال فالثابت أن العرب لم يروا العز إلا على متونها، بالتالي كان لهم في حبها أحاديث وأشعار لا تعد ولا تحصى، فقد تغنوا بها خاصة وأن الخيول العربية اتصفت بجماها وبذكائها وإخلاصها وقوة تحملها وتفرد شخصيتها وسرعتها.. فالخيول العربية من أقدم عروق الخيل الأصيلة، منشؤها شبه الجزيرة العربية، وتعد أساس تكوين عدد من العروق العالمية المشهورة.. هي أيضا من أقسم المولى عزوجل بها في محكم تنزيله، في سورة العاديات (الآية 1-3) بقوله تعالى: { والعاديات ضبحا* فالمواريات قدحا* فالمغيرات صبحا* }، وكذلك في سورة

الأنفال (الآية 60) قال جل شأنه: {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم}.. ولا يخفى علينا أن الخيول عقدت بالخير استنادا إلى قول رسولنا الكريم: {الخيال معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة}، والذي استخدمها في الجهاد، لتنتشر مع الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام وفارس وشمال إفريقيا، وصولا إلى إسبانيا وجنوبي فرنسا، ونهر الهندوس شرقا، وقد ظهر أول كتاب للخيول العربية في إنجلترا في ق17، وأنشأت المنظمة الدولية للجواد العربي عام 1972، وقد احتضنت أكثر من 50 بلدا في عضويتها، وقد سجلت فيها جميع الخيول العربية الأصيلة، يضاف إلى ذلك أن الدول وسلطات التسجيل تصدر كتبا دورية لأنساب الخيول الأصيلة (عبد الرحمان، (د، ت)). .

ومن سيرة الأنساب نشير إلى أن العرب ومن اعتزازهم الكبير بالخيول أعطوها أسماء وأنسابا منذ القدم، حتى إن لهم مؤلفات خاصة بها، من ذلك كتاب "أنساب الخيل" لابن الكلبي، و"أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها" للغندجاني (عبد الرحمان، (د، ت)). .

لحب العربي للخيول فنون فاهتمامه بها جعله يبيت طاوي البطن، حتى تشبع فرسه، إذ كان يؤثرها على أهله وولده، فيسقيها الحوض، ويشرب القراح، يعلفها الشعير ويجللها بالأكسية، حتى يمنع عنها الأذى، كانوا يصنعون لها النعال لتقي نفسها ضد الصخور.. كانت جزءا منهم، فإذا ما أصابها خطب تداعى له العربي بالسهر، وهو ما جعل هيئتها ومظهرها محل مفاخرة فيما بينهم، يضاف إلى ذلك أنها كانت أيقونة لأشعارهم بكل تفاصيلها وأعضائها وأوصافها.. وقد بلغ أمر تعظيمهم لها أنهم كانوا لا يهتئون إلا بسلام يولد، وشاعر ينبغ وفرس تنتج، وقد أردف اصطلاحها إلى بعض المسميات فقبل زيد الخيل، هذا الذي شغف بها، وقد عرفت عنده ستة أفراس بأسمائها، وكذلك كان الحال حين أضيف لقب الفارس إلى فرسه، تعظيما وإكراما فقبل فارس اليعموم وفارس الجون وفارس العرادة... (القيسي، 1969، صفحة 338، 339)

3. ما أثر وما روي عن الخيل

وإذا ما جئنا إلى ما قيل فيها فننتقي ما يلي: * «ليس في مملكة الحيوان نوع يتداخل تاريخه مع تاريخ الإنسان كالخيال، ولسنا نخشى الاتهام بالمغالاة إذا قلنا: إن ظهورها وترويضها لخدمة الإنسان كان من العوامل الحاسمة في سير التاريخ، لأن قيام كثير من الممالك القديمة كان رهنا بمدى اقتناء الخيول السريعة، أو بمدى معرفتها لوسائل استخدامها، ولم تكن العرب في الجاهلية تصون شيئا من أموالها، وتكرمه صيانتها للخيول وإكرامها لها، فكانوا بها يدافعون عما يملكونه، ويحمون ذمارهم، ويطلبون ثاراتهم وينالون بها الغنائم، ويتخذونها معقل تقيهم غارة خصومهم، فظل ذكرها يتردد على شفاههم، وكان لهم فيها من التباهي والتفاخر والتنافس ما يدعو إلى التأمل، ففي إكرامها إكرام المرء نفسه، لأنها وقاية للنفس، وفي ذلك بحث أحد بني عامر بن صعصعة قومه فيقول: (...)

بني عامر إن الخيول وقاية لأنفسكم، والموت وقت مؤجل

أهينوا لها ما تكرمون وباشروا صيانتها، والصون للخيال أجمل

متى تكرمونها يكرم المرء نفسه وكل امرئ من قومه حيث ينزل» (القيسي، 1969، صفحة 337، 338)، استرسالا مع ذلك ومن ذات النطاق فقد ذكر الأصمعي ثلاثة من العرب عرفوا بحبهم الشديد للخيال، إذ تخصصوا في أوصافها، وعلى حد التعبير لا يقاربهم أحدا في وصفها، (أبو دؤاد الأيادي، والطفيل الغنوي، والنابعة الجعدي)، لنا هنا قول (لأبو دؤاد) يقول فيه:

علق الخيل حب قلبي وليدا وإذا ثاب عندي الإكثار

علقت همتي بهن فما يمد نع مني الأعنة الاقتار

جنة لي في كل يوم رهان جمعت في رهاها الأعشار

وانجراري بهن نحو عدوي وارتحالي البلاد والتسيار (القيسي، 1969، صفحة 340).

ليوضح لنا هذا المنتقى قيمة الخيل ودورها ومكانتها الماثرة التي صيرتها لتكون حب القلب وشغف النفوس ومبتغى الأهواء ومطمحها المنشود وهذا الميل العاطفي والارتباط الروحي يترشح بين الجمال والحنين وراحة الإنسان واعتزازه وانتمائه.

وغير بعيد عما نبحر فيه نراود كذلك عشق العرب للخيال هذا الأمر الذي عرجنا عنه ومنه نستفيض قليلا «عشق العرب الخيل.. وأكثروا فيها الوصف ومجدوها، وأحبوها، واعتبروها عزا وعزوة وفخرا وقوة وكنزا وثروة، قالوا فيها روائع الأشعار في القديم والحديث، وبالشعبي والفصيح، وهي أشعار نابغة من صميم الوجدان، والوجدان العربي لا يمنح مشاعره إلا لمن يستحقها، فالعربي شامخ الشعور، أصيل الحس، فشعرهم فيه مزيج من الفخر والإعجاب قد يصل لحد الغزل، ومما قالته العرب في وصف الخيل:

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل

مسح إذا ما السابحات على الونى أثرن غبارا بالكديد المركل

على العقب جيش كأن اهتزاه إذا جاش فيه حميه غلي مرجل

يطير الغلام الخف على صهواته ويلوي بأثواب العنيف المثلقل

دريز كخذروف الوليد أمّره تقلب كفيه بخيط موصل

له أبطالا ظي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تنفل

كأن على الكتفين منه إذا انتحى مداك عروس أو صلاية حنظل

وبات عليه سرجه ولجامه وبات بعيني قائما غير مرسل

(...)

(امرؤ القيس من معلقته الشهيرة)

وأدهم يستمد الليل منه وتطلع بين عينيه الثريا (ابن نباتة)
تتوهم الجوزاء في أرساغه والبدر غرة وجهه المتهلل (البحتري)

(...)

يكاد لولا اسم الله يصحبه تأكله عيوننا وتشربه (ابن المعتز) « (الجعيش، 2014)

فقد اعترى العربي بخيله أيما اعتزاز كونه رفيق الدرب والصاحب والحامي الوفي والمخلص الشجاع الصادق، والكرم
الصبور، والبطل النبيل الفريد من نوعه الذي لا يمس، مبعث المفاخر وصوت الحرية وعنوان المجد والهوية، رمز الشموخ
ولذة الحياة ...

4. الخيل والمسرح:

على غرار الأجناس الأدبية والأشكال الفنية المختلفة .. كان للخيل حضورا مائزا في المنظور المسرحي، بالتالي
تباينت صورتها بناء على دلالاتها ورموزها وعلى المقتضى والمقصود، ولنا هنا نماذج كثيرة تلك التي استخدمت الحصان
كرمز مركزي نخبيل باقتضاب إلى حصان طروادة المستوحى من الأساطير الاغريقية (خشبة، 2020) ... ومنه نخرج
على بعض النماذج:

1.4. مسرحية "الأمير": تدور أحداث هذه المسرحية الموسيقية حول إدراك السعادة والحرية كونهما حلما يراود الذات
البشرية منذ الأزل حول ثقافة تعايش الشعوب المختلفة مع الخيول.. عرضت هذه المسرحية الموسيقية في عديد المدن
السويسرية، أبطاها 80 حصانا و62 ممثلا من بينهم لاعبو أكروبات، وفرقة موسيقية صغيرة من ضمن أفرادها 4
مغنيي أوبرا، وتعود أحداثها .. إلى عام 1719 وهي مستوحاة من حياة الأمير الفرنسي (لويس هنري دو بوربون)
الذي كان مولعا بالخيول، فاقتنى منها عددا كبيرا حوى عديد الأنواع، جمعهم في إسطنبول اتسع لأكثر من 300 حصان،
وقد كان الاعتقاد السائد أن هذا الأمير سيبعث على هيئة جديدة.. هيئة حصان.. ينطلق العرض من الريف الفرنسي
حيث كان يتباهى النبلاء بخيولهم، ينتقل إلى أماكن أخرى كإسبانيا، والمجر والصحراء العربية، وقد بني على استثمار
كبيرة لاسيما ما اتصل بجانب مهارات مروضي الخيول.. بتعبير آخر عندما دخلت الخيول إلى الساحة قدمت مشاهد
تلقائية وكأنها نوع بري، يضاف لها مشاهد الخيول البيضاء التي ترافقت وضوء القمر ليلا، وكذلك فكرة امتطاء جوادين،
وفهمها للإشارات وتناغم حركاتها والموسيقى.. وبشيء من الاقتضاب مخرج هذه المسرحية بني تصوراتها على الفكرة
السابقة (تحول الأمير إلى حصان) وصيرها حلما فيه رأى الأمير نفسه حصانا قويا سعى جاهدا إلى تحرير أميرة كان
يحبها، هذه الأخيرة التي تقمصت دور الفرس المحتجزة من قبل حصان شرير (العنين، 2007) .

- وتعكس هذه المسرحية مجموعة من الأفكار يمكن الإشارة هنا إلى فكرة الحرية المنشودة بالبحث عن واقع مختلف تجسد في عالم الخيول حيث القوة والاتصال الروحي بالطبيعة وهو ما يعكس مكانتها، كذلك فكرة استشراف مآل آخر .. والطموحات بغد أفضل عدا عن ذلك فكرة الاحتفاء والتداخل والتعايش والامتزاج الثقافي.

2.4. مسرحية "حصان الحرب": لنيك ستافورد وهي مقتبسة من كتاب حصان الحرب لميشيل موريرغو المنشور عام 1982، وتروي القصة تجربة الحصان "جوي" الذي ابتاعه الجيش للخدمة أثناء الحرب العالمية الأولى في فرنسا، ومحاولات صاحبه السابق البرت استعادته سالما، وقد عرضت بداية من عام 2007 في لندن، كما عرضت في بروكساي وتورنتو وأستراليا وبرلين وهولندا وجنوب إفريقيا والصين، وقد رشح العرض لجائزة لورنس أوليفيه لأفضل مسرحية جديدة 2008، وحاز خمس جوائز توني لأحسن مسرحية.. الحصان جوي الذي فاجأ الجمهور بظهوره على المسرح حتى خاله الجمهور حاضرا حقيقيا على الركح، هنا قام بتحريكه شخصان من داخل الدمية مع شخص ثالث من الخارج، يحرك الأول الرأس والاذنين، والثاني الأرجل، وكان الذنب لثالثهما، بعدما ارتدوا ملابس تحاكي المطلوب (ويغاند، 2016)، تعزيزا لهذه الطرح « قال الكاتب موريرغو حينما طرحت مسألة تحويل الكتاب لمسرحية كان أول ما تبادر لذهني تقديم الحصان بطريقة البانتوميم (الإيماء الصامت) وقلت لنفسي: ما هذا السخف؟ لكن النتيجة كانت مبهرة.. قدمت المسرحية ما يزيد عن ثلاثة آلاف عرض شاهده نحو 2.7 مليون شخص في لندن، وأكثر من سبعة ملايين حول العالم، يقول المخرج توم موريس: بدأنا بدراسة حركات الحصان بالتفصيل وحاولنا أحيانا وضع أنفسنا في موقف الحصان لنعرف كيف سيفكر، دعي الكاتب مرارا للمشاركة في تمارين الأداء والإنتاج المسرحي، وقدم رأيه حول التغيرات المقترحة، لكن الرؤية المسرحية حرصت على تقديم وجهة نظر الكتاب الأصلي، ولعل تجربة الحصان جوي في ساحة الحرب ومواجهة أهوالها كانت الأكثر صدقا لما كتبه موريرغو، كما استخدام الدمى بهذه الطريقة جعل المسرحية أكثر قربا لجمهور المسرح من أصل الرواية الموجهة للشباب» (ويغاند، 2016).

- وتكشف هذه المسرحية عن رمزية الخيل هذه التي تضفي طاقة تمثيلية لكونها وسيطا بين عوالم متنوعة، بالتالي استدعاؤها يشرك المتلقي ويرتجل به في دروب تأويلية تساقا ومشاهد المنظور الأدائي .

3.4. مسرحية "الحصان": مسرحية كوميدية للكاتب الهنغاري يوليوس هاي، مكونة من ثلاثة فصول، وقد ترجمها علي كنعان، لتمثل وتقدم سنة 2003 في دمشق، تدور أحداثها هذه الملهة الساخرة حول عديد القضايا والأمور.. أهمها قضية انتكاسة الفطرة الإنسانية وانقلاب الطبيعة السوية.. من ذلك تصور مؤلفها أحداثها في روما وبالذات في القرن الأول الميلادي.. إبان حكم الامبراطور كاليغولا.. هناك في ظروف درامية وفي حاناتها المترعة بالخمر والرهان ووو، من بين شخصياتها الشاب الريفي (سيلانوس) الذي قدم إلى تلك البلاد بغية الرهان والمقامرة، مع حصانه (انسيتانوس) هذا الذي سيكون له شأن فيما بعد إثر فوزه بسباق الخيول، فهنا يأمر الإمبراطور بتعيينه قنصلا خلفا للقنصل السابق، والأكثر من ذلك يهبه القداسة، أو يضيفها عليه بتعبير آخر، ما يجعل الإقبال عليه كبيرا حد المباركة من قبل الناس والاحتفاء به، والتشبه به في حركاته وصهيته.. كدق الأرض بأقدامهم محاكاة له، وعقد الشعر لاسيما الفتيات ولعب لعبة الخيل بطرق رمزية وغيرها من الأمور، مع هذه المجريات يقرر الامبراطور تزويج قنصله بأجل فتاة في روما.. (أمينا)

هذه التي توافق بعد رفضها لهذه المهزلة وبعد ضغوط كثيرة وإكراهات .. وإقناع من قبل صاحب الحصان الذي استطاع أن يقنعها بأن الحصان مقدس يستطيع التحول في الليل إلى هيئات أخرى، وهي النقطة التي استغلها فيما بعد ليزورها ليلا على أنه هو، وقد انتهت المسرحية بكل لحم القنصل حين قتل من قبل النبلاء طمعا في القنصلية ... (الغني، 2013).

- على غرار ما سبق مركزية الحصان تمنح سلطة تبجيله له وقدسية في مشاهد تعكس بعض الثنائيات كالقوة والسيادة وكذلك أمر العبودية والتزلف دون أن ننسى فكرة السخرية، والتراجيديا الرمزية وسقوط التآليه.

4.4. مسرحية "خيل تايهة": مسرحية فلسطينية لفرقة مسرح نعم، المتوجة بالجائزة الكبرى لمهرجان المسرح العربي، والذي اختتمت فعالياته في الرباط المغربية.. تروي هذه المسرحية لمؤلفها وردي العودة، قصة فتاة بدوية في الريف السوري، تخرج للبحث عن مشط لأُمها، لتلتهمها عاصفة قوية، وتدخلها عوالم خيالية مجهولة.. ليعثر عليها أحد وجهاء القرى البعيدة، فيقرر التكفل بها وتربيتها.. بعد مرور سنوات يقوم بتزويجها من أحد الشباب، تمر الأيام وتحمل بفتاة .. هذه الفتاة التي صاحب موعد ولادتها ظاهرة غريبة تتمثل في الحركة التي انتابت الخيل.. خيل القرية التي لم تهدأ، ما جعل العرافة تتنبأ بأن هذه المولودة لن تعيش طويلا، وهو ما فسره القدر بعد مضي وقت، إذ قضت تلك الصغيرة نجبتها في العاصفة الرملية ذاتها التي صيرت والدتها تائهة عن قبيلتها قبل 11 عاما... (مسرحية "خيل تايهة" الفلسطينية تحصد جائزة "مهرجان المسرح العربي"، 2015).

- في هذه المسرحية كيان الحصان يحمل تقاسيم وصور تعكس صراع الإنسان الوجودي، وبحثه عن الحرية وإرادته القوية في الخروج من التيه، مع العودة إلى أقبية التراث والذاكرة الجماعية عدا عن ذلك فكرة الاستمرارية والديمومة والصمود والتحدي والطموح..

*وفي حوار دار بيننا والناقد المسرحي المصري الفذ، الأستاذ الدكتور (أبو الحسن سلام)، عن الخيل وحضورها في المتخيل المسرحي، ذكر لنا مسرحية قدمت في تسعينيات القرن الماضي عنوانها "خيل الحكومة" التي قاربت مساعي الحكومة في التخلص من عجائزها في سلك الأمن، بإعدامها للخيول العجائز، هذا وذكر لنا مسرحية أخرى عنوانها داعش والغبراء ... (حوار أجريناه مع الناقد المسرحي المصري أبو الحسن سلام، 2023).

ومن الإشارة إلى هذه المسرحية نلج بعضا من عوالمها، هذه المسرحية التي ألفها سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى لاتحاد الإمارات حاكم الشارقة، والتي أخرجها بالموازاة مع ذلك مُجدّ العامري، في إطار عروض ليالي مهرجان الشارقة للمسرح الصحراوي في دورته الثانية.. وقد استدعت هذه المسرحية حرب داحس والغبراء.. فاستحضرت الموروث العربي.. هذه الحرب التي بدأت قبل بعثة الإسلام بحوالي 50 عاما واستمرت 40 عاما، ميزة هذا الخطاب المسرحي هو أنه عني بالراهن العربي المثقل في بعض الأصقاع العربية، إذ أسقطت المسرحية على القتل والتدمير .. والفكر الإلهابي، والتطرف، والعنف، وغيرها من المظاهر .. وبالتوافق مع ذلك فقد دعت إلى العودة إلى

الإسلام إلى التسامح والوثام والسلام ... (عرض "داعش والغبراء" يفتح ليالي مهرجان الشارقة للمسرح الصحراوي، 2016).

وما دمنا في سياق الخيل وحضورها في الخطابات المسرحية نشير أيضا إلى هذا الحضور طال بكثرة مسرح الطفل، فقد استخدم الخيل كرمز لأفكار مختلفة لاسيما تلك التي تتصل بالفضائل والأخلاق العالية والقيم التعليمية والتربوية القيمة.

5. تأملات في مسرحية "صهيل الحصان" تأليف فارس الذهبي

لطالما كان لحضور الخيل في المخيال العربي النصيب الأوفر إذ ارتبط بالقوة والجمال والحرية والكرامة والمجد والجد بل الأكثر من ذلك ارتبط بالكينونة .. فانعكس ذلك على ما يجود به المبدع العربي من إبداعات هذه التي نلقي من ضمنها الإبداع المسرحي الذي دوما ما كان مرآة للمجتمعات .. مرآة تعيد نقل قضايا جمّة وتعالجها بطروحاتها المتنوعة بما فيها أمر توظيف الخيل التي استخدمت لطرح قضايا كثيرة.

1.5. العنوان

مسرحية صهيل الحصان في البداية توحى بالنداء وبعلامة مسموعة .. وربما بصرخة واحتجاج هي توليفة رائعة تومئ بعلامة غير لغوية مميزة تصدر بناء على مواقف مختلفة؛ الشيء الثابت فيها أن هناك مثير أحدث تلك الاستجابة.. هذا الصهيل تصدره الأحصنة والحصان هو رمز للفروسية والحروب والمعارك والقوة والجمال والرشاقة والحرية والنخوة، هو أيضا رمز مثقل بالمرجعيات والخلفيات الثقافية والاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية، بناء على ذلك العنوان في تركيبته الظاهرة مفهوم.. ناتج عن أمر طبيعي تغلب عليه صيغة المباشرة، مع هذا قد يخفي إشارات ورموز كثيرة، الشيء الذي يجعلنا نتقرب مفارقة مسرحية رمزية مقصودة ؟

2.5. الأبعاد الرمزية للخيل من خلال الأحداث والتوظيفات

تتأتى معالم الخيل في هذه المسرحية من الوهلة الأولى إذ يظهر كعلامة بصرية صامتة تومئ بالحضور الجسدي الذي يفتقر للكلام « يلتصق في العمق تحت النور حصان بني اللون منمق ذو شعر مرسل وذيل طويل يلامس الأرض، الإضاءة تظهر الحصان الذي يقف بشكل عرضي دون حراك أبدا ...» (الذهبي، 2020)

وهذا الحضور الجسدي علامة لحضور تأويلات متنوعة، كدلالة الركود والسكون والصمت وربما الانتظار الذي ينفي الصهيل المعلن عنه في العنوان .

تنكشف فيما بعد دلالات أخرى دوما موصولة بالموضوع من خلال استرسال العجوز في الحديث وفي سرد التفاصيل، هذه التي تكشف لنا أن الحصان شريك إنساني بعدما عبر عن ذلك وفي مواضع مختلفة من المسرحية، فقد تم وصفه بـ"صديق عمري وحبيبي وزوجتي.. إلى غير ذلك، وقد تبدت ملامح ذلك بشكل خاص سيما وأن المسرحية كتبت بصيغة العرض، وبكلمات تكاد تكون ناطقة « وكنت أستأنس بشدة بصوته فقد كان يجدد لي إيماني بالخروج وحينما كان صوته يتأخر، كنت أشعر بالقلق لدرجة أنني بت لا أنام حتى أسمع صوته» (الذهبي، 2020) وفي مواضع

أخرى ورد « بينما كان سهيل الحصان يهدر من بعيد (...) يتجه إلى الجمهور (...) أليس فاتنا .. انظروا إليه ! إنه من سلالة عربية أصيلة .. عربي أصلي .. مسجل وليس له مثل بين باقي الخيول المهجنة والتي لا ندرك أصلها من أين.. هذا هو الحصان العربي (...) حصان خاض معي مواقف مشرفة، وأنا متأكد من أن أجداده من الخيول هم ممن حملوا الفاتحين العظام من الأبطال، صلاح الدين والظاهر بيبرس ونور الدين وسيف الدولة... » (الذهبي، 2020)

فالكلمات المستخدمة تدل على أنه محور الحديث وبؤرة تمتح منها الدلالات وتتضاعف في سياقها الحوارات، منه استمد القوة والعزيمة في ظل الظروف التي يمر بها والانكسار الذي يحز داخله، فهو يتجاوز كونه أداة أو وسيلة ليكون رمزا للعطاء والمقاومة وربما رمزا للهوية المفقودة وللزمن الأصيل وللذاكرة الجمعية وللماضي التليد، ولأشياء أخرى غائبة يفتقدونها العجز خاصة والإنسان العربي المعاصر عامة في ظل واقع مرير تحاوت فيه الآمال وأضحت ضائعة.

للتناثر الدلالات وتعرضنا مشهدية رمزية أخرى بموجبها استحالة الحصان إلى كلب يقتات على السكر، بفعل الانحناء ليكون هذا التشبيه مثقلا بالتأويلات «وتقدمت الأيام .. وكنت أقدم له السكر في راحة يدي وأطلب منه أن ينحني ويقوم بلحس السكر من باطن يدي .. كما الكلب تماما وكان يفعل بنهم» (الذهبي، 2020).

فهنا بني هذا المقطع على مفارقة منها تحول العنفوان والكبرياء والقوة إلى خضوع وتبعية وولاء وذل واستغلال بوجود الاستمالة (السكر) هذا الاغراء الذي قد يدل على الأساليب والطرائق والممارسات المفروضة هذه التي لطالما ولدت قهرا بعد التخلي عن الكرامة وإسقاطات جمة تصدق على هذا الطرح.

لتنبثق مرامي نشدان الحرية والتوق إلى عالم نقي من مشهد رؤية الخيول إلى قرار سائس الخيول وهو القرار الذي حمل طموحات التماهي وإياها هذا الأمر الذي جر طروحات كثيرة تتساقق والمبتغى؛ إذ ظهر الحصان كرمز للكرامة الاجتماعية في مواضع كثيرة لاحقة ومنتالية عبرت عن ذلك لحظات استلامه أمام الناس والعبارات الآتية توضح ذلك " واستقبلت صديقي الرائع... طقطقات حوافره على الأرض الصلبة تجعلني أترنح كالمخمور " كذلك " جاء به بشاحنة وأنزله أمام الناس جميعا " "أمام دهشة الناس " .. "الأطفال كانوا يهللون" .. و"النساء تبسم"....

وكل هذه الموصوفات تدل على الهيبة المضافة وعلى فكرة الاندماج وعلى العوض العاطفي خاصة وقد تم وصف هذه العلاقة بالعشق الإلهي، وهنا وحسب ما ذكر أصبح الحصان رمزا يعبر عن حالة الاغتراب ورمزا للهروب من الواقع وملجأ يسد فراغ الوحدة المعاشة وقد تأتى ذلك من خلال مجموعة من التصريحات "للحظات ينتابني شعور غريب بأنني فارس من فرسان العرب"، "ومرت الأيام ... وأصبحت لا أدرك ولا أعلم شيئا عن حياتي سوى العمل والحصان"، و"ينتظرني بكل حب ووفاء" و"بنيت له سقفا وجدرا" .. و"عزلها عن أصوات الجيران والخارج القبيح" "وأحضرت لنا التلفاز أيضا" وفي "كانت السهرة عظيمة مع حبيبي" و"انظر إلى الفرسان والقادة .. هؤلاء أجدادك هؤلاء أجدادي نحن تاريخنا مرتبطون".

وتتواصل الرمزية حينما تم التطرق إلى قداسة كسر تمثال الفرسان أين تم الاعلاء من الشأن والتقدير "الخيال شرفنا يا كلب " شرف الفرسان يا جاهل"، وهو ما صير هذه العلاقة لأن تكون قيدا "أحبته لدرجة أنني لم أستطع أن أتخيله يتزوج وينجب" وفي "إنه ملكي أنا خلق لأجلي أنا" وفي "امزج دمي بدمه ولحمي بلحمه وروحي بروحه" .

وهو امتلاك مرضي وهوس جعله يتخيل أمورا كمخاطبته (طلب الماء وسماع الموسيقى والاستحمام...)، وهي أصوات تدل على الأوهام والهواجس النفسية، هذه التي تصل ما بعد حد كسر الحواجز الطبيعية؛ أي بين ما هو حيواني وإنساني عندما يحدث التماهي فهناك انهارت الأخلاق وسقطت الضوابط معلنة عن اللحظة التي جسدت التحلل والسقوط الإنساني مع فقدان السيطرة على الذات، وكل هذا رمز للوهم الزائف بالقوة وإحكام السيطرة وقد استمر هذا الهذيان ووصل درجة الجنون معلنا فيما بعد وفي مشهدية منتقاة عن مشهد مقتل الحصان في ظروف قلبت بعض المعطيات إذ صيرته متسخا وشاحبا ... وهي موصوفات خالفت صورة ما سبق في إشارة إلى ضحايا الاستبداد، لتزداد الفوضى الداخلية بعد قتله وهذا ما احتضنته العبارات "أنا ربكم الأعلى فاعبدوني..." وفي "أنا ملك الأرض..." ليقضى عليه بعدها بطلقتين، حينها يلوح صهيل الحصان من بعيد معبرا عن بداية جديدة وعن خطاب متجدد يحمل آهات الذات المتصدعة الممزقة، وعن رفض وعن تمرد وعن ثورة سيما عندما قرن بهتافات كانت تعلي من بعض كلمات.. "الله" و"سوريا" و"الحرية"، ومنه كان الحصان في المسرحية رمزا:

- ✓ للشريك إنساني
- ✓ للعطاء والكرامة والعنفوان والجمال والتميز والقوة والحرية
- ✓ للهوية المفقودة والحنين وتناقضات العصر وأزمة الإنسان
- ✓ للأخلاق مغيبة والانحدار والخضوع وتهاوي القيم
- ✓ للعزلة الاجتماعية والاعتزاب
- ✓ للغطرسة والقهر للمستبد والمستبد وللقامع والمقموع
- ✓ للصراع والتوتر والتساؤل والتأمل والحيرة والوهم
- ✓ للحب والامتلاك والهوس والسيطرة والجنون

6. الخاتمة:

إذا ما ذكر الخيل إلا وتهافت زخم الموصوفات هذه التي تترنح بين الجمال والرقّة والتميز والعنفوان والكبرياء والخير والتاريخ والأصالة والهوية والحرية والانتماء.. فالخيل بمتعالقتها المختلفة عالم مغرق في التفاصيل، ولطالما قرن حضورها بالكينونة العربية بالتالي استدرجت حبا وشغفا النصوص والعروض المسرحية لمراودة تفاصيلها المترعة بالحمولات والطروحات، على هدي ذلك تداخل ما هو في جمالي بما هو واقعي وفي ضرورة لاحتضان الإنسان العربي والغربي وللإحاطة بمكوناته وقضاياها .. وهنا بينا من خلال النماذج المسرحية السابقة المكانة، والمرجعيات، والخلفيات والعلاقات.. إضافة إلى مسرحية "صهيل الحصان" هذه المسرحية التي تعد من أهم المسرحيات التي بنيت على استثمارات هائلة تقاطعت وهذا الصوب.. ميزتها الخاصة قلبها الذي طغت عليه الرمزية وهو ما جعل الحصان ينتقل من دلالة إلى أخرى بعيدا عن الترف الابداعي.. إذ في توليفة رائعة أبانت عن مجموعة من المتناقضات.

7. قائمة المراجع:

. المعاجم:

— ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين. ((د، ت)). لسان العرب. دار المعارف، القاهرة، مصر.

. الكتب:

— خشبة دريني. (2020). قصة طروادة، مؤسسة هندواي، القاهرة.

— القيسي، نوري حمودي. (1969). كتاب الخيال للأصمعي أبي سعيد عبد الملك بن قريب، مستلة من مجلة كلية الآداب العدد 12. مطبعة الحكومة بغداد 1970، بغداد.

. الحوارات:

— حوار أجريناه مع الناقد المسرحي المصري أبو الحسن سلام (17 06، 2023). للتعرف على مسرحيات اشتغلت على توظيف الخيال فيما جادت به). مصر، الجزائر.

. مواقع الانترنت:

— أبو العينين، تامر. (25 06، 2007). مسرحية "الأمير" تصور عالم الخيول ملاذا للسعادة البشرية. تم الاسترداد من الجزيرة نت: <https://aljazeera.net>

— بهجت عبد الغني. (20 12، 2013). مسرحية (الحصان) يوليوس هاي. تم الاسترداد من رابطة الواحة الثقافية : <https://www.rabitat-alwaha.net>

— الجعثن، عبد الله. (13/12 رجب/ماي، 2014). مقاربات بين الشعبي والفصيح من أجمل ما قيل في وصف الخيل. تم الاسترداد من جريدة الرياض، الاثنين العدد 16758: [com.https://www.alriyadh.com](https://www.alriyadh.com)

— الذهبي، فارس. (03 يونيو، 2020). فارس الذهبي: مسرحية "صهيل الحصان". تم الاسترداد من مجلة الفنون المسرحية: <https://theatears.blogspot.com>

— الحصان في الثقافات والأديان.. ما سر إعجاب الإنسان بالخيول منذ القدم؟. (12 09، 2020). تم الاسترداد من aljazeera.net

— عبد الرحمان، طارق. ((د، ت)). الخيل، الموسوعة العربية. تم الاسترداد من arab-ency.com

— عرض "داعش والغراء" يفتح ليالي مهرجان الشارقة للمسرح الصحراوي. (16 12، 2016). تم الاسترداد من وكالة الأنباء الأردنية: <https://perta.gov.jo/include>

— مسرحية "خيال تايهه" الفلسطينية تحصد جائزة "مهرجان المسرح العربي". (17 يناير، 2015). تم الاسترداد من صحيفة العربي الجديد: <https://www.alaraby.co>

الخيال في المخيال المسرحي (من خلال نماذج مختارة)
لطيفة خمان

- ويغاند كريس، تر: -ممي إسماعيل -الغاردان البريطانية-. (30 08، 2016). من تجارب المسرح المعاصر حصان الحرب. تم الاسترداد
من مجلة فنون المسرح: <https://atitheatre.blogspot.com>